الأمم المتحدة

A S

Distr.
GENERAL

A/33/164
S/12762
3 July 1978
ARABIC
ORIGINAL : ENGLISH

الجمعية العامة
مجلس الأمن

الجمعية العامة
الدورة الثالثة والثلاثون
البند ٥٥ من القائمة الاولية*
تقرير اللجنة الخاصة المعنية بالتحقيق في الممارسات الاسرائيلية التي تمس حقوق الانسان لسكان الاراضي المحتلة

مجلس الأمن
السنة الثالثة والثلاثون

رسالة مؤرخة في ٢٢ حزيران/يونيه ١٩٧٨ وموجهة الى الأمين العام من الممثل الدائم للأردن لدى الامم المتحدة

أتشرف بالاشارة الى الرسالتين اللتين بعثت بهما الى سعادتكم بتاريخ ٢١ شباط/فبراير ١٩٧٨ و ١٢ نيسان/ابريل ١٩٧٨ ، بناء على تعليمات من حكومتي ، واللتين تتعلقان بتحديات وخيمة العواقب وبالغة الخطورة قامت بها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، على المناطق التاريخية والدينية والثقافية والسكنية المتاخمة للحائط الغربي للحرم الشريف .

وقد أرفقت بالمذكرتين الشفويتين المؤرختين في ٢١ شباط/ فبراير ١٩٧٨ (A/33/60 - S/12575) و ١٢ نيسان/ابريل ١٩٧٨ (A/33/88-S/12669) رسالتان ورد بهما تفصيل لحالات الانتهاك المحددة التي ارتكبتها سلطات الاحتلال الاسرائيلية على طول الجزء الشمالي الغربي من الحائط ، وكذلك التحديات الخطيرة على زاوية أبو مدين الغوث والجامع المجاور للمسجد الاقصى .

وبرغم ان المعلومات التي احتوت عليها الرسالتان المرفقتان صحيحة تماما ، فقد طلبت حكومة الاردن اجراء "كشف موقعي" تقوم به الهيئات المختصة في الامم المتحدة للتحقق من صحة ما تشكو منه الاردن .

---

* A/33/50/Rev.1 .

ومما يدعو الى الأسف العميق أنه برغم مرور عدة شهور لم تتلق البعثة الاردنية ما يشير الى أن الامم المتحدة قد أجرت الكشف المطلوب ، وذلك برغم اتخاذ مجلس الامن للقرار ٢٩٨ (١٩٧١) الذى ورد به في الفقرة ٤ :

" ويطلب بالحاح من اسرائيل ان تلغي جميع التدابير والاعمال السابقة وألا تتخذ أية خطوات جديدة في الجزء المحتل من القدس ترمي الى تغيير مركز المدينة ، أو يكون من شانها الاضرار بحقوق السكان ومصالح المجتمع الدولي ، أو بتحقيق السلم العادل الدائم".

وانه لمن بواعث الأسف الشديد ان سفير اسرائيل لدى الامم المتحدة بدلا من أن يلتزم بنص قرار مجلس الامن المذكور وروحه ، آثر أن يبعث برسالة مؤرخة في ٣١ أيار/مايو ١٩٧٨ وجهت الى الامين العام وعممت على مجلس الامن ، وكذلك على الجمعية العامة تحت البند ٥٥ من القائمة الأولية (A/33/116-S/12725) .

ولا تكتفي رسالة السفير الاسرائيلي بتجنب الرد على الاتهامات المحددة بارتكاب انتهاكات خطيرة لقرارات مجلس الامن وللقرارات العديدة الاخرى التي اتخذتها هيئات الامم المتحدة المختصة ؛ ولكنها في الدرجة الاولى تكرار للاشارات المشوهة الزائفة البذيئة الى سجل الحكومة الاردنية خلال فترة اتحاد ضفتي الاردن في الفترة بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ .

وقد فندت البعثة الاردنية تلك الادعاءات الاسرائيلية تفنيدا قاطعا في مناسبات كثيرة ، أمام مجلس الامن والجمعية العامة ، وبصفة خاصة في رسالتها المؤرخة في ٢٠ كانون الثاني /يناير ١٩٧٢ والموجهة من الممثل الدائم للاردن الى الامين العام للامم المتحدة (A/8657-S/10517)(١) ، ردا على ادعاءات مماثلة وردت في رسالة مؤرخة في ١٥ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٧١ (٢) بعث بها السيد أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل في ذلك الوقت .

ومنذ ذلك الوقت أخذت تتسع الى حد كبير أبعاد التعديات الاسرائيلية على حرمة مركز القدس العربية المحتلة ، بما في ذلك التعديات على الاماكن التاريخية والدينية .

ويكفي أن نذكر هنا أن القدس العربية المحتلة قد اتسعت ، عن طريق المصادرة والاستيطان الاسرائيلي القهرى ، الى ما يساوى ضعف مساحتها الاصلية خمس عشرة مرة حتى أصبحت الآن تضم خمس مساحة الضفة الغربية كلها .

---

(١) للاطلاع على النص المطبوع ، انظر الوثائق الرسمية لمجلس الأمن ، السنة السابعة والعشرون ، مرفق شهر كانون الثاني /يناير ، شباط/ فبراير وآذار / مارس ١٩٧٢ .

(٢) انظر الوثائق الرسمية لمجلس الامن ، السنة السادسة والعشرون ، ملحق تشرين الاول /اكتوبر ، تشرين الثاني /نوفمبر وكانون الاول /ديسمبر ١٩٧١ ، الوثيقة S/10392 ، المرفق .

وبالنظر الى ما سبق ، أجدني مضطرا الى تكرار ما قلته قبل ذلك من أن البعثة الاردنية ستقوم باتخاذ جميع الخطوات الممكنة لتنبيه الامم المتحدة الى التزاماتها الرسمية ومطالبتها بتحمل مسؤولياتها نحو الغاء جميع الخطوات التي اتخذتها وتستمر باتخاذها سلطات الاحتلال الاسرائيلية في القدس العربية المحتلة ، لانها خطوات لاغية وباطلة .

ولما كانت رسالة السفير الاسرائيلي المؤرخة في ٣١ أيار/مايو ١٩٧٨ قد أثارت من جديد بعض الادعاءات التي سبقت اثارتها ضد الحكومة الاردنية ، ولم ترد ردا موضوعيا مسؤولا ومحددا على ما شكت منه البعثة الاردنية في ٢١ شباط/فبراير ١٩٧٨ و ١٢ نيسان/ابريل ١٩٧٨ ، فاني أرجو تعميم هذه الرسالة الموجهة الى سعادتكم والرسالة المرفقة التي وجهت اليكم بتاريخ ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٧٢ بوصفهما وثيقة رسمية من وثائق الجمعية العامة بمقتضى البند ٥٥ من القائمة الأولية ، ومن وثائق مجلس الأمن .

(توقيع) حازم نسيبة
السفير
والممثل الدائم

المرفق

رسالة مؤرخة في ٢٠ كانون الثاني /يناير ١٩٧٢ موجهة الى الأمين العام من الممثل الدائم للأردن لدى الأمم المتحدة ردا على بعض الهجمات الافترائية التي شنّت على الأردن فيما يتعلق بخدمتها للأماكن المقدّسة في الفترة بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، وتوضيحا لمركز القدس وانجازات الحكومة الاردنية خلال الفترة المذكورة

بناء على تعليمات من حكومتي ، أتشرف بالاشارة الى تقرير الامين العام المؤرخ في ١٩ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٧١ [S/10392] والذى قدّمه تنفيذا لقرار مجلس الامن ٢٩٨ (١٩٧١) بشأن القدس ، وأتشرف بتقديم البيان الذى ضم الى هذه الكلمة والذى أعدّته البعثة الاردنية للتعبير عن آرائها وتعليقاتها على رسالة وزير الخارجية الاسرائيلي المؤرخة في ١٥ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٧١ ، والمرفقة بالتقرير المذكور.

وأرجو تعميم هذه الرسالة مع البيان الذى ضم اليها بوصفهما وثيقة رسمية من وثائق الجمعية العامة ومن وثائق مجلس الامن .

(توقيع) بهاء الدين طوقان
الممثل الدائم للاردن
لدى الأمم المتحدة

بيان البعثة الدائمة للأردن لدى الامم المتحدة

بعد اتخاذ قرار مجلس الامن ٢٩٨ (١٩٧١) مضى على حكومة اسرائيل نحو شهرين قبل أن ترد على طلبات الامين العام المتكررة فيما يتعلق بتنفيذ هذا القرار تنفيذا كاملا . وكان الرد في صورة رسالة من وزير خارجية اسرائيل الى الامين العام يتجاهل فيها تماما الفقرة ٥ من القرار ويقدّم بدلا منها آراء حكومته فيما يتعلق بالفقرة ٤ التي تقرّر :

" ويطلب بالحاح من اسرائيل ان تلغي جميع ما اتخذته من تدابير واجراءات وألاّ تتخذ أية خطوات جديدة في الجزء المحتل من القدس ترمي الى تغيير مركز المدينة ، أو يكون من شأنها الاضرار بحقوق السكان ، ومصالح المجتمع الدولي ، أو بتحقيق السلم العادل الدائم . "

ولهذا تجد البعثة الاردنية نفسها مضطرة الى توضيح ما تحفل به رسالة وزير الخارجية

../..

الاسرائيلي من تشويه صارخ للحقائق يشكك من جديد في امكانية الثقة في اسرائيل في تعاملها مع أعلى جهاز تنفيذى للهيئة العالمية .

لذلك تعتزم البعثة الاردنية ان تتناول كلا من البنود التي تحتوى عليها رسالة وزير الخارجية الاسرائيلي الى الامين العام بغرض عرض حقائق الموقف من جديد في أبعادها الصحيحة وليس بالصورة المشوهة التي قدمت بها كما سيتضح من خلال هذا البيان :

(أ) مركز المدينة

' ١ ' يزعم وزير الخارجية الاسرائيلي في رسالته أن مايسميه اعادة مركز المدينة الذى كان قائما قبل ٥ حزيران/يونيه ١٩٦٧ الى ماكان عليه معناه اعادة خط فاصل عسكرى ، والغاء حرية الدخول بالنسبة لليهود و "المسلمين الاسرائيليين"،الخ .

والشيء الذى تغفله الرسالة الاسرائيلية هو أن الخط الفاصل وغيره من الترتيبات التبعية كانت نتيجة لعدوان اسرائيلي مباشر . ولم يحدث قط أن أيد عرب القدس أو قبلوا تجزئة مدينتهم . بل على العكس ، لقد وجدوا أنفسهم الضحايا الاساسيين الابرياء لسياسة القوة الوحشية والنهب والاستيلاء التي تتعمدها اسرائيل في القدس وغيرها . ولم يكن احتلال اسرائيل في ٥ حزيران/يونيه ١٩٦٧ لبقايا ما كان حتى ١٩٤٨ مدينة متسعة مزدهرة وضواحيها ، تغلب العروبة على سكانها وأراضيها وممتلكاتها ، سوى الطعنة القاضية في عملية تنفيذ خطة لتصفية القدس التي كان ينبغي ، بمقتضى كل قواعد القانون والعدل ، أن تبقى ملكا وتراثا غير قابلين للتصرف لسكانها الاصليين الذى كانوا عربا في غالبيتهم .

ومن الملائم هنا أن نعيد الى الاذهان أن الادارة البريطانية في عملية انهاء انتدابها على فلسطين عهدت الى قاض بريطاني يدعى السير وليام فيتزجيرالد بتحديد المناطق أو المساحات التي تخص عرب القدس وتلك التي تخص يهود القدس . ويثبت ماوضعه من خرائط وغيرها من المعلومات ذات الصلة أن نحو ٧٠ بالمائة مما أصبح خلال العقدين الاخيرين يعرف باسم القدس الجديدة ويفترض أنه مدينة يهودية ، كان في الواقع مدينة عربية في غالبيتها ، احتلتها اسرائيل ونهبتها خرقا لجميع الاتفاقيات الدولية والقرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة .

ولقد كان الاعتراف بهذه الحقيقة التي لا لبس بها هو ما جعل الكونت برنادوت يدفع حياته ثمنا على أيدى الارهابيين اليهود في شوارع القدس عام ١٩٤٨ .

من أجل هذا فان وزير الخارجية الاسرائيلي على حق حين يصف الفترة من ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ بأنها من أحلك السنوات في تاريخ القدس الطويل ، وان كان ذلك لغير ماذكره من أسباب . لقد كانت فترة حالكة لأن أغلب عرب القدس اضطروا الى معاناة الاحتلال والاغتصاب الاسرائيليين لبيوتهم

وممتلكاتهم في الاقسام الغربية من المدينة ، وهي الاقسام الاكبر ، بالاضافة الى اكراههم على العيش حتى هذه اللحظة في أماكن أخرى كلاجئين في الاكواخ والخيام .

أما بالنسبة لعرب القدس الذين كانت بيوتهم في ذلك الوقت تقع شرقي الخط الفاصل ، أو لأهل القدس الذين استطاعوا أن يجدوا عملا يتعيشون منه وأن يبنوا بيوتا جديدة داخل مابقي من المدينة — وكان للأسف هو الحيز الوحيد الباقي في الفترة ١٩٤٨ — ١٩٦٧ — وهي فترة مسؤولية الاردنيين ازاء اخوانهم في القدس وغيرها من مناطق الضفة الغربية ، تلك الفترة التي تميزت بالعيش في ظل الكرامة الوطنية والاخاء الدولي ، وتزايدت فيها الفرص المادية والمعنوية ، وأصبحت فيها القدس متمتعة بكل حقوقها ، ولم يعكّر صفوها سوى استيلاء الاسرائيليين ظلما وعدوانا على أجزاء واسعة من المدينة تقع وراء الخط الفاصل ولا تخصهم ، وعلى عشرات الآلاف من البيوت التي لم تكن لهم تحت أى نظام من نظم القانون أو العدل .

"٢" في الفقرة الثالثة من القسم (أ) من رسالته المؤرخة في ١٥ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٧١ ، يصف وزير الخارجية الاسرائيلي وضع الاردن في جزء من القدس لمدة ١٩ سنة بأنه ناشئ عن "غزو عدواني تم بالمخالفة لأوامر مجلس الامن في النصف الاول من عام ١٩٤٨ ."

واذا أردنا أن نكون أمناء للتاريخ فلا ينبغي أن ندخل عليه الحقائق المشوهة والخداع والاكاذيب الملفّقة . فحقيقة الامر في هذا الصدد هي أن الجيش الاردني دخل القدس في ١٨ أيار/مايو ١٩٤٨ ، أى بعد مضي ثلاثة ايام على انتهاء الانتداب البريطاني ، بناء على الحاح مستميت واستغاثة يائسة من جانب المواطنين العرب المحاصرين ، لانقاذ مابقي من المدينة كلها — ولم يكن ذلك سوى جزء صغير بعد أن فقدوا الجزء الاكبر خارج أسوارها للعصابات والقوات الاسرائيلية قبل انتهاء الانتداب البريطاني وبعده . وعلى مدى ثلاثة أيام وثلاث ليال ، بين الخامس عشر والثامن عشر من ذلك الشهر المشؤوم ، ظلت القوات الاسرائيلية المسلحة تسليحا ثقيلا تضرب بلا رحمة المدينة التاريخية ذات الاسوار وهدفها الذى كانت مصممة عليه هو احتلالها . ولقد كان الهجوم الاسرائيلي قيد أنملة من تحقيق هدفه العدواني في منتصف ليلة ١٨ أيار/مايو ١٩٤٨ ، لولا المقاومة البطولية من جانب المواطنين الذين كان أغلبهم غير مسلحين ، وكانوا بلا قوات نظامية أو امدادات تعينهم على ابداء شيء من الدفاع المتلاحم .

وقبل ذلك ، وفي الوقت الذى كانت فيه سلطات الانتداب البريطانية لا تزال مسؤولة عن القانون والنظام في المدينة ، كانت القوات اليهودية التابعة لعصابات الهاجانا والارجون وشتيرن تندفع بالفعل بعنف وتضم معظم الاحياء العربية في المدينة الجديدة وضواحيها . وليست المذابح التي لا توصف لمئات الرجال والنساء والأطفال والقاء جثثهم المشوّهة في آبار قرية دير ياسين احدى ضواحي القدس الغربية ، سوى واحدة من الجرائم المشهورة التي ارتكبت ضد مواطني القدس وضواحيها . وما كان الضمير العالمي ليحتمل وقوع مذبحة نطاقها أوسع كثيرا بين مايقرب من ٩٠٠٠٠

مواطن عربي في القدس كانوا قد اكتظوا في مدينة القدس ذات الاسوار. ويكفي هذا لشرح أسباب وطريقة حضور قوة أمامية من الجيش الاردني الى القدس فجر يوم ١٨ أيار/مايو ١٩٤٨ لانقاذ ما بقي منها.

ان فحوى الفقرة الاخيرة في القسم (أ) من رسالة وزير الخارجية الاسرائيلي هو انكار أية نية لتغيير طابع التغاير في عناصر السكان. وازاء الادلة الدامغة المثبتة لعكس ذلك، يريد وزير الخارجية الاسرائيلي أن يؤكد لمجلس الامن أن شيئا من ذلك لا يحدث، وكأنما القدس في كوكب لم يستكشف بعد، وكأنها لم تكن طوال السنوات الخمس الاخيرة موضع فحص دقيق من جانب المجتمع الدولي عموما ومن جانب مجلس الامن بوجه خاص.

لقد أصبح من الحقائق الثابتة أن خطة عمل اسرائيل تستهدف، في النهاية ان لم يكن على الفور، الغاء طابع التغاير في القدس الغاء تاما تقريبا. والأدلة على ذلك لا تحتمل اللبس. ففي عام ١٩٤٨ احتل الاسرائيليون وصادروا معظم مدينة القدس على ما ذكرنا آنفا. ولقد كانت بهذه المناطق فرص لا حد لها لأعمال بناء تضاف الى ما كان المواطنون العرب في القدس قد شيّدوه على نطاق واسع. ومع ذلك لم يتم في الواقع شيء يذكر في مجال التشييد خلال العقدين الماضيين - حتى بالنسبة لأعمال الصيانة والاصلاح الأساسية.

وعندما احتل ما بقي من القدس شرقا في حزيران/يونيه ١٩٦٧، ظهر في مجال التشييد نشاط مفاجيء على نطاق لم يسبق له مثيل، لا في القسم الغربي، وانما في القسم الشرقي، لا في الاراضي اليهودية أو الاراضي العربية التي سبقت مصادرتها في عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨، وانما في الاراضي العربية الاضافية التي صودرت أيضا في القسم الشرقي من المدينة. والقطاعان كلاهما من القدس، ومع ذلك فقد نهجت خطط اسرائيل وأعمالها هذا النهج الهدام، لأن هدفها الرئيسي هو محو القدس العربية وليس التعايش مع قدس عربية لها طابعها الفذ وماضيها الخالد.

وهدم المواقع التاريخية في مدينة القدس القديمة لا يضارعه في الغدر سوى تلك الخطة المنظمة لخنق، وتطويق، واطفاء شعلة الحياة في القدس العربية. ونعتقد أنه لا ضرورة للخوض في تفاصيل هاتين العمليتين، فقد تم عرضهما عرضا مسهبا على مجلس الامن وتسجيلهما في محاضره. وهما أيضا ماثلتان للأعين هنالك في الموقع لكل من أراد أن يرى. لهذا لم يكن مثار دهشة، وان كان اهانة للأمم المتحدة لم يسبق لها مثيل، أن ترفض اسرائيل السماح لثلاثة أعضاء بارزين من مجلس الامن بزيارة القدس، تنفيذا لقرار المجلس واستجابة لطلب الامين العام، وتقديم تقرير الى المجلس عن تنفيذ القرار ٢٩٨ (١٩٧١).

ويعبّر وزير الخارجية الاسرائيلي عن اشارته المشوهة عندما يقرر أن "هروب العرب المسيحيين من القدس في ظل الاحتلال الاردني قد توقف منذ ١٩٦٧".

وانه لأمر مفهوم أن يعجز وزير الخارجية الاسرائيلي، بمفاهيم ما قبل العصور الوسطى التي تعتنقها الحركة الصهيونية عن العلاقات الطائفية، عن فهم أنه لا يوجد في معظم العالم الحديث،

وبصفة خاصة في القدس ذات التقاليد الليبرالية وذات الدوافع النبيلة ، شيء اسمه طائفة عربية مسيحية تتمايز من طائفة عربية مسلمة ، ولا طائفة عربية في مقابل طائفة غير عربية ، كما لم يكن هناك - حتى ظهور الصهيونية - شيء اسمه طائفة عربية يهودية . فالجميع مجتمع واحد لا انفصام له ، توحد بين أبنائه التقاليد المشتركة والقيم المشتركة ، وتحركه القيم الروحية السامية التي تتجاوز أية تقسيمات ضيقة .

واذا شاء وزير الخارجية الاسرائيلي أن يعرف مصير العرب المسيحيين في القدس ، وكان عددهم نحو ٣٠ ٠٠٠ حتى عام ١٩٤٨ وكان المفروض أن يتضاعفوا الى ٦٠ ٠٠٠ لولا تشتيتهم في عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، فاليه الجواب : لقد كانوا مع اخوتهم العرب المسلمين في ركب الخارجين من أحياء الطالبية وقطامن باقة ومصرارة وغيرها من الاحياء العربية الجميلة في القدس الغربية الى الملجأ المكتظ بأديرة المدينة القديمة ، ثم الى عمان وبيروت بل والولايات المتحدة الامريكية بعد ١٩٦٧ . وهم ، كاخوتهم المسلمين ، ينتظرون في صبر استرداد حقوقهم والعودة الى مدينتهم .

ولقد أثارت رسالة وزير الخارجية الاسرائيلي مسألة ما اذا كان مجلس الامن قد قصد بقراره اعادة انقسام المدينة . والبعثة الاردنية وان كانت بواجب الاحترام تترك الجواب لمن يملكه وهو مجلس الامن ، تود أن تطرح وجهة نظرها وهي أن مشكلة القدس جزء لا يتجزأ من مشكلة انهاء الاحتلال الاسرائيلي لجميع الاراضي العربية . وهي ، فضلا عن ذلك ، جزء لا يتجزأ من الاحترام الحقيقي لارادة الامم المتحدة ولقلقها على مصير المدينة المقدسة كما عبرت عنهما في قراراتها المتعلقة بعدم شرعية ضم اسرائيل لها .

ان سياسة اسرائيل الراهنة والمستمرة هي نسف كل هذه الاعتبارات بسياسة متحدية تقوم على ايجاد أمر واقع لا يتسع لغير قدس يهودية ولا يكترث على الاطلاق بسائر الديانات الكبرى ولا باستمرار عيش سكان القدس الاصليين في حرية وكرامة .

ولا يمكن أن يكون هناك حل للمشكلة اذا فرض على القدس ، في الوقت نفسه ، أن تعاني تغييرا لطبيعتها ، واضعافا يزيل أو يفسد الأركان الاساسية لتلك المشكلة ، وهي مالا يقدّر بثمن من قدسية ووحدانية المدينة المقدسة اللتين تميزانها منذ قرون ، والحفاظ على العنصر البشري الذي يسكن هذه المدينة على ما هو عليه .

(ب) حقوق السكان

تزعم رسالة وزير الخارجية الاسرائيلي ، في الفقرة الاولى من القسم (ب) ، أن اليهود كانوا طوال الاعوام المائتين الماضية هم أكبر طائفة في القدس . وأقل ما يقال في هذا أنه مفاجأة مثيرة للدهشة ، حتى لأقل الناس دراية بالموضوع . وحقيقة الامر أنه لم يكن بين سكان القدس على مدى مايقرب من ثمانية عشر قرنا سوى عدد قليل من اليهود ، وأن وجود اليهود بأي حجم ذي بال بين

سكان المدينة لم يبدأ ، طبقا لجميع المعلومات المتاحة ، الا في الجزء الاخير من القرن التاسع عشر . فبعد اخضاع القوات الرومانية لحركتي تمرد قام بهما اليهود في عامي ٧٠ و ١٣٥ بعد الميلاد ، أصدر الحكام الرومانيون مرسوما يقضي بألاّ يعيش يهودي في القدس بين سكانها الذين كان أغلبهم من العرب مع طوائف من المسيحيين واليونانيين والرومانيين . وعندما قام البطريرك سوفرونيوس ، نيابة عن الامبراطور الروماني ، بتسليم المدينة سنة ٦٣٦ بعد الميلاد الى جيش المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بشروط عادلة مشرّفة ، نصّ في وثيقة الاستسلام على أن تبقى المدينة مغلقة في وجه اليهود . وكان لسماحة الاسلام واحترامه لليهودية واعترافه بها الفضل في السماح لسلالة اليهود الأصليين بالعودة الى القدس في القرون التالية .

ويقول البروفيسور ريتشارد هـ. بفاف الاستاذ بجامعة كولرادو في كتابه "القدس : الأساس لتسوية عربية اسرائيلية" (أ) مايلي :

"طوال مايزيد على ألف سنة كان السكان المقيمون داخل المدينة المسوّرة كلهم تقريبا من العرب ، وذلك باستثناء الكهنة الذين كانوا يخدمون الاماكن المقدسة . . . وتوجد خارج المدينة المسوّرة منطقة تمتد بوجه عام شمالي الاسوار ، وهذه كل سكانها تقريبا من العرب . . . وابتداء من منتصف القرن التاسع عشر ، أرسل عدد من أثرياء اليهود في أمريكا تبرعات ضخمة لتشجيع قيام جالية يهودية في منطقة القدس . وفي أوائل العقد السادس من القرن التاسع عشر أسست جمعية أمريكا الشمالية لمساعدة يهود القدس المعوزين . وكان من أكبر المتبرعين لهذه الجمعية يهودي من نيوأورليانز يدعى يهوذا تورو . وقد تبرع في سنة ١٨٥٤ بالأموال اللازمة لاقامة مشروع سكني لليهود بالقرب من المدينة المسوّرة . وقد أقيم هذا المشروع بالقرب من بوابة صهيون وأطلق عليه اسم يمين موسى أو "اليد اليمنى لموسى" . . . على أن الغالبية العظمى من سكان القدس اليهود حديثة العهد . فالجالية اليهودية في القدس لم يصبح عددها ذا شأن الا بعد اقامة الانتداب البريطاني في فلسطين في العقد الثالث من القرن العشرين ."

ولقد ظلت الاغلبية دائما للعرب ، برغم هجرة اليهود بعد الحرب العالمية الاولى ؛ وهذا هو السبب في أن مدينة القدس كلها كان لها دائما عمدة عربي في عهد الانتداب البريطاني ، وفي أن غالبية الاعضاء في مجلس المدينة كانوا من العرب .

وتبلغ رسالة السيد أبا ايبان درجة المحال عندما تزعم ، في الفقرة الثانية من القسم (ب) ، أن جميع مواطني القدس لهم ، منذ ١٩٦٧ ، صوتهم في ادارة المدينة طبقا للأصول المتبعة !

فالعالم يعرف أنه كان من أولى الخطوات التي لجأت اليها اسرائيل لضم القطاع الاردني من

(أ) Washington, D.C., American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1969.

القدس الغاء مجلس بلديتها المنتخب انتخابا ديمقراطيا طبقا للاصول المتبعة . ولقد حضر السيد روحي الخطيب عمدة القدس الذى أبعدته هو نفسه سلطات الاحتلال الاسرائيلية والذى يعيش الان في عمان أمام مجلس الامن أكثر من مرة ليدافع عن قضية مدينته المحاصرة .

ان الاشارة الى اجراءات التصويت وحق الاقتراع العام كأمرين يمتّان بصلة لمدينة القدس العربية المضمومة هي اهانة لمدارك الناس في كل مكان . فما من جماعة تصوّت مختارة لصالح الغاء وجودها ، والمواطنون في القدس العربية ، بما لهم من التجارب الرهيبة الفاجعة ، على وعي بما يدّخره المستقبل لهم في ظل الاحتلال الاسرائيلي يفوق في شدته وعي أية جماعة أخرى في أى مكان .

وان الزعم بأن حكومة الاردن عينت العمدة بغض النظر عن نتائج التصويت لا يعدو أن يكون زعما غير صحيح . فقد كان العمدة دائما يعين على أساس مؤهلاته الادارية والقيادية من بين جملة أعضاء مجلس البلدية الذين فازوا بأكبر عدد من الاصوات . وهذا هو ما جرى عليه العمل خلال فترة الانتداب البريطاني لضمان اختيار أكثر الاشخاص أهلية من قائمة الفائزين ، بحيث يستطيع أن يكرّس كل وقته لعمله ، وليس اختيار مالك أرض ثرى قد يظهر تعارض ولائه على نحو يضرّ برفاهة المدينة في مجموعها .

وتزعم رسالة وزير الخارجية الاسرائيلي ، في الفقرة الثالثة من القسم (ب) ، أن لجميع المواطنين حق الانتفاع بالخدمات البلدية التي يعلن في زعمه أنها "كانت غير موجودة أو غير كافية خلال الـ ١٩ عاما من الاحتلال العسكرى الاردني غير الشرعي ."

ونقول ، بادئ ذى بدء ، انه لم يكن هناك اطلاقا احتلال عسكرى أو ادارة عسكرية للقدس ، المدينة ، كجزء لا يتجزأ من الاردن ، حيث انها كانت طول الوقت تدار بواسطة أبنائها ومواطنيها الاردنيين . وثانيا ، فان ملايين الناس من جميع أنحاء العالم ممن أتيحت لهم فرص زيارة المدينة على مدى السنوات العشرين الماضية والآلاف من غير العرب من اختاروها محلا لاقامتهم ، قد رأوا وشهدوا أنها كانت دائما من أفضل مدن العالم ادارة وصيانة ونظافة .

أما عن المدارس ودور الحضانة والرعاية الصحية والطبية فان النظام في القدس لا يعلوه نظام . ولو أحصينا ضحايا الضم الاسرائيلي لجاءت هذه الخدمات في أعلى القائمة . فقد اضطر كثير من الآباء الى الاستغناء عن نظام المدارس العامة بعد أن انحط في عهد الاحتلال الاسرائيلي فلم يعد يزيد عن كونه أداة لنشر أحلام اسرائيل التعصبية ، ولم يجد الآباء بديلا سوى ارسال أطفالهم الى المدارس الخاصة بالقدس ، واذا لم تتوفر الاماكن فالى المدارس الخاصة خارج القدس ، برغم ما ينطوى عليه هذا التغيير من مشقة .

ولقد كانت الرعاية الطبية في ظل الادارة الاردنية شاملة للجميع ومجانية في الواقع . ولا يعرف الوفد الاردني الى أى شيء يشير المستشفى ذو الثلاثمائة سرير الذى ورد ذكره بالرسالة الاسرائيلية .

ولكنه يعرف على وجه اليقين أن المستشفى فوق العصرى الذى كانت وزارة الصحة الاردنية بسبيل استكماله على جبل المكبّر عند وقوع الاحتلال الاسرائيلي قد حوّل منذ ذلك الوقت عن الغرض الانساني الذى أقيم من أجله ليصبح مركزا رئيسيا للبوليس الاسرائيلي [التأكيد للمؤلف] . وهو أيضا على يقين من الجهود التي بذلها الاحتلال الاسرائيلي لكي يحوق ويستولي على المستشفى الذى تكلف ملايين الدولارات ، والذى شيّد في منطقة جبل الزيتون بتبرعات سخية قدّمها مواطنون كويتيون وغيرهم من المواطنين العرب لتوفير أحدث الرعاية للفقراء والمحتاجين في المدينة بدون مقابل . ونحن نشير هنا الى المستشفي الذى يحمل اسم "مستشفى جمعية المقاصد الخيرية" .

والمضايقات التي تعرض لها مستشفى أوغسطا فيكتوريا الذى تملكه الكنيسة اللوثرية وتديره وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى هي في ذاتها قصة تكشف عن كثير ، هذا فضلا عن مستشفى هوسبيس النمسوى في مدينة القدس القديمة الذى واجه أيضا معركة مماثلة من أجل البقاء .

وأبرز ما في الاشارة الى القضاء على التراخوما ، وهو مرض من أمراض العيون كان مع الاسف موجودا ، هو النكران الذى لا يصدّق وانعدام السماحة نحو جمعية كافحت على مدى عشرات السنين كفاحا ناجحا لا هوادة فيه للقضاء على هذا المرض ، ونعني بها جمعية فرسان القديس جون ، سواء في مبناها المتواضع في المدينة القديمة أو في المستشفى البالغ درجة عالية من التطور ، ونعني به مستشفى القديس جون الجديد الذى افتتح على جبل المكبّر في منتصف الستينات من هذا القرن . وربما كان لدى هذه الجمعية البارزة ، التي يرأسها دوق جلوسستر ، مع كل تواضعها ، ما تعلّق به على هذا الذى يعتبر أحدث صورة من صور الاغتصاب الاسرائيلي .

وأشد ما يذهل من التشويه نجده في الفقرة الخامسة من القسم (ب) من الرسالة . ففي بداية هذه الفقرة يقول وزير الخارجية الاسرائيلي : "لقد تم توصيل القسم الشرقي بشبكة المياه الرئيسية في القدس مما أدى الى توفير امدادات المياه على مدى ٢٤ ساعة في اليوم لأول مرة في التاريخ" . والمدهش في هذا الزعم هو أن وزير الخارجية الاسرائيلي قد سمح لنفسه ، بهذا البيان الخاطئ ، أن يكون سهل التعرض للتفنيد على هذا النحو .

لقد كان ينبغي للسيد ايبان ، مالم يكن مؤمنا بأن التاريخ لم يبدأ الاّ في سنة ١٩٤٨ ، أن يعلم أن امدادات القدس الطبيعية المتصلة من المياه كانت تأتي دائما من رأس العين في هضبة فلسطين الوسطى ، خلال فترات الانتداب البريطاني كلها تقريبا ، وأن هذا المدد الطبيعي الوافر من المياه لم يمنع عن القسم الشرقي من القدس الاّ بعد الاحتلال الاسرائيلي لرأس العين في سنة ١٩٤٨ ، فكان ذلك مصدر شقاء يجلّ عن الوصف لسكان القسم العربي من القدس .

ولقد ذهبت أدراج الرياح كل قرارات الامم المتحدة وكل مناشداتها التي حاولت بها بعد ١٩٤٨ اعادة توصيل هذا المورد الطبيعي للماء الى مدينة القدس العربية . فهل أن وزير الخارجية الاسرائيلي ، بدلا من أن يندم على المنع غير الانساني وغير القانوني للمياه عن مدينة على مدى

عشرين عاما ، يتوقع من المجتمع الدولي أن يصدّق اعجابا لاعادة طال تأخرها للمياه ، فضلا عن أنها اعادة لا الى القدس العربية ذاتها ، بل الى قدس تعتقد حكومته أنها أصبحت جزءا من اسرائيل ؟ على أن الادارة الاردنية لم تضع وقتا وسارعت الى تعويض هذه الخسارة ببناء شبكة بديلة للامداد بالمياه كفل مايكفي منها للقسم النامي من القدس العربية . يقول ايفان م . ويلسون الذى كان قنصلا عاما للولايات المتحدة الامريكية في القدس قبل حرب حزيران/يونيه ١٩٦٧ وخلالها وبعدها ، في صفحة ٤٠ من كتابه " القدس ، مفتاح السلام " (ب) :

" صحيح ان الطاقة الكهربائية والمياه المزودة للقدس كلها كانت قبل سنة ١٩٤٨ تأتي من ناحية المدينة الجديدة ، ولكن الاسرائيليين لم تكن لديهم فكرة عن الجهود الجبارة التي تمكّن بها الاردنيون من استحداث موارد بديلة . "

ويبلغ وزير خارجية اسرائيل نقطة الذروة ، في جهوده المضنية لاظهار بركات الاحتلال والضم ومايتحمله الرجل الابيض من أعباء ، في الفقرة الاخيرة من القسم (ب) من رسالته ، وهي فقرة تستحق أن نجيب عليها . فلم يحدث قط أن شهدت هذه المدينة المقدسة في تاريخها الطويل فترة اكثر ازدهارا من فترة الادارة الاردنية . يقول السيد ويلسون في الصفحة نفسها :

" كذلك لم تكن لديهم [الاسرائيليين] أية فكرة عن تقدم المدينة القديمة ورخائها النسبي ، ونمو طبقة وسطى حديثة من أصحاب المهن - من المصرفيين ، والمحامين ، والمعلمين ، ومن اليهم . . . وانه لجدير بالذكر هنا أن اقتصاد الاردن كله كان يسير سيرا طيبا جدا في الفترة السابقة لحرب حزيران/يونيه ، لدرجة أن الولايات المتحدة قررت أنها تستطيع أن تخفض اعانتها الى ذلك البلد تدريجيا . "

ولدى الاستاذ بفاف مايقوله زيادة على ذلك عن هذا الموضوع في كتيّبه " القدس : الأساس لتسوية عربية اسرائيلية " :

" ومهما يكن من شيء ، فينبغي أن نلاحظ هنا أن عرب القدس الشرقية كانوا ينعمون بمعدّل من النمو الاقتصادى يفوق حتى نظيره في اسرائيل نفسها قبل حزيران/يونيه ١٩٦٧ . "

على أن السيد ابا ايبان عندما تحدث تفصيلا عن تنمية القدس العربية وتحويلها من مدينة متخلفة من مدن العصور الوسطى الى مدينة حديثة عصرية على النمط الاسرائيلي ، تغافل عن بعض الجوانب الاخرى في الحياة الحديثة التي جاءت بها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، ونعني بها التلويث الاخلاقي الذى يتجلى في معايير السلوك المنحطّة ، بفتح النوادى الليلية ، والكباريهات ، ونشر البغاء ؛ وفي اختصار بالقضاء على اسلوب الحياة الوقورة الذى كان يعتز به عرب القدس . ونذكر مثلا واحدا فقط من هذه التغييرات الكثيرة التي ادخلها الاسرائيليون وهو " تعصير " الخان التركي (الاستراحة) البالغ عمره ١٣٠ سنة والواقع خارج المدينة المسوّرة مباشرة . فقد ورد في تقرير نشر بصحيفة جيروسلم بوست الاسرائيلية في عددها الصادر في ٢٧ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٦٧ أن شركة تنمية القدس الشرقية

(ب) Washington,D.C.. The Middle East Institute,1970.

استولت على هذا الموقع القديم وحوّلته الى مسرح وكباريه قام بتقديم الجزء الاكبر من تمويلهما هنري جستتنر بلندن . وكان الموقع قبل ذلك ملكا للكنيسة الارثوذكسية اليونانية .

(ج) مصالح المجتمع الدولي

يبدأ وزير خارجية اسرائيل القسم (ج) من رسالته بعبارة يقول فيها ان القدس كانت على مدى ٢٢ عاما عاصمة اسرائيل ومقر حكومتها . ويود وفد الاردن ان يسال السؤال التالي : أية حكومة في العالم - باستثناء اسرائيل - سلمت أو يمكن أن تسلم بهذا الادعاء في ضوء تعهدات الامم المتحدة بالنسبة لمستقبل المدينة ؟

وتزعم الرسالة الاسرائيلية ، فضلا عما سبق ، أن القدس هي المركز الروحي الفذ لليهودية وليست كذلك بالنسبة لأى دين آخر . فهل الامر حقا هكذا ؟ ان بوسع وزير الخارجية الاسرائيلي أن يتكلم بأحر لغة عن تعلق شعبه بالقدس ، ولكنه لا يملك شيئا من الحق ، فضلا عن القدرة ، لقياس العدة اللانهائية للمشاعر وللاجلال اللذين يكنهما أبناء الديانتين الكبريين الأخريين للقدس روحيا وتاريخيا .

وتعيش القدس في وجداء قلب كل من المسيحية والاسلام : فهي تمثل تجاربهما ومعتقداتهما الروحية ، وذكرياتهما ، وتقاليدهما ، وحياتهما على امتداد الفين سنة من التاريخ الحافل بالاحداث.

ولماذا يكون الوجود اليهودى جنبا الى جنب مع الوجود العربي في القدس لمدة ٥٦٥ سنة أكثر اهمية أو تفردا من وجود العرب في القدس وهو وجود أطول وأكثر استمرارا من ذلك على نحو لا سبيل الى مقارنته . والواقع ان المدينة ، منذ فجر التاريخ ، أى منذ ٤٠٠٠ سنة تقريبا ، الى أن فتحها العبريون بقيادة الملك داود حوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد كان يسكنها ويسيطر عليها اليبوسيون الذين هم فرع من قبيلة كنعان العربية القديمة وهم الذين أعطوا المدينة اسمها وهو أورشاليم أو القدس ، أى "مدينة السلم" . وقد تولى اليهود قبل هزيمتهم وتشتيتهم على يد الرومان ، حكم مدينة القدس لمدة ٥٦٥ سنة تقريبا من تاريخها البالغ ٤٠٠٠ سنة ، وهي فترة لم ينقطع فيها وجود العرب بوصفهم السكان الأصليين الذين يمثلون الاغلبية في المدينة . ومع هذا فان ارتباط اليهودية بالقدس أمر مسلم به عن طيب خاطر ويحظى باحترام عميق . ولكن وجود مزيد من الاحترام المتبادل الذى يتسم بسعة الافق من جانب الاسرائيليين من شأنه أن يعزز هذا التسليم وهذا الاحترام لا ان ينال منه .

وبعد أن ذكرنا هذا ، نوجه اهتمامنا الآن الى الاماكن المقدسة ، ونرد ، في معرض ذلك ، على بعض الهجمات الشائنة التي وجهت ضد الاردن في ما يتعلق بخدمة الاماكن المقدسة منذ عام ١٩٤٨ حتى العدوان الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ .

ونبدأ ، في هذا الصدد ، بالقول بأنه ليس بوسع أى مسلم أن يكون مسلما حقيقيا ، وليس بوسع أى مسيحي أن يكون مسيحيا حقيقا اذا انتهك قدسية مكان مقدس يهودى . وهذا الموقف ينبع من الاركان الاساسية للايمان في كل من الديانتين ولهذا فليس من الممكن تجنبه أو تجاهله .

../..

وبناء على ذلك ، حظيت الاماكن المقدسة اليهودية دائما بالاحترام الكامل الذى تحظى به الاماكن الاسلامية او المسيحية دون أى تمييز كان ، وعلى امتداد فترات طويلة من التاريخ كان فيها الضمير والعقيدة هما الرقيبان الوحيدان على التصرف اللائق .

ويرد في الرسالة الاسرائيلية اتهامان لابد من تفنيدهما : أولهما عدم اتاحة الفرصة للاسرائيليين في الفترة من ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ للوصول الى حائط المبكى في مدينة القدس القديمة ، وثانيهما هو انتهاك قدسية الاماكن المقدسة الاسرائيلية .

اما فيما يتعلق بالاتهام الاول فان السلطات الاسرائيلية لم تكف مطلقا عن مهاجمة الاردن بمثل هذا الاتهام البشع . ولقد قام وفد الاردن في مناسبات عديدة وأمام مجلس الامن والجمعية العامة بتفنيد هذا الاختلاق والتشويه للحقائق . وحقيقة الامر هي أن الحكومات العربية لكل من الاردن وسوريا ولبنان ومصر قد تعهدت ، استجابة لنداء وجهته لجنة التوفيق التابعة للامم المتحدة والخاصة بفلسطين ، بالتزام الاعلان التالي الصادر في ١٥ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٤٩ :

"تتعهد حكومات سوريا ولبنان ومصر والمملكة الاردنية الهاشمية بان تكفل حرية الوصول الى الاماكن المقدسة والمواقع والمباني الدينية الواقعة في الاراضي الموضوعة تحت ولايتها بمقتضى التسويات النهائية لمشكلة فلسطين أو الواقعة ، ريثما تتم تسوية المشكلة ، في الاراضي التي تحتلها الآن بمقتضى اتفاقات الهدنة ؛ وستكفل ، عملا بهذا التعهد ، حقي الدخول والمرور لرجال الدين وللحجاج والزائرين دون تمييز على أساس الجنسية أو المعتقد ، شريطة مراعاة اعتبارات الامن الوطني فقط . وكل هذا وفقا للحالة التي كانت سائدة قبل ١٤ ايار/مايو ١٩٤٨ "(ج).

وفي الوقت نفسه توجهت لجنة التوفيق الخاصة بفلسطين بطلب مماثل الى اسرائيل . وجاء في رسالة مؤرخة في ٨ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٤٩ وموجهة من السيد آرثر لورى ممثل اسرائيل الى رئيس لجنة التوفيق أن اسرائيل "ترى ... في ظل هذه الظروف ان مما يساعد على تحقيق تسوية بناءة ونهائية أن يكون تناول مسألة الصياغة بعد ان تجرى الجمعية العامة مزيدا من الدراسة المتعمقة لهذه المشاكل " (د) ولهذا فان من الواضح بجلاء أن اسرائيل نفسها قد رفضت اصدار اعلان بشان زيارة الاماكن المقدسة مماثل لذلك الذى أصدرته الحكومات العربية . أما السبب الذى دفع اسرائيل الى اتخاذ هذا الموقف ، فهذا أمر يحتاج الى توضيح . ولعلنا نجد الرد على ذلك

(ج) الوثائق الرسمية للجمعية العامة ، الدورة الرابعة ، اللجنة السياسية المخصصة ، المرفق ، المجلد الاول ، الوثيقة A/1113 ، الفرع جيم ، المادة ٤ .

(د) المرجع نفسه ، الفرع باء ، الفقرة ٤ .

في احتلال وضم مدينة القدس العربية في حزيران/يونيه ١٩٦٧ . ولهذا فانه اذا كان الاسرائيليون قد حرموا من حرية الوصول الى الاماكن المقدسة قبل عام ١٩٦٧ فان هذا يرجع فقط الى عناد اسرائيل وسياستها المتمثلة في استمرار العدوان والتوسع .

وان زعم اسرائيل بان باستطاعة كافة الجماعات الدينية الآن دون تمييز أن تصل بحرية الى الاماكن المقدسة في القدس للصلاة فيها انما هو زعم كاذب ومضلل . والواقع أن الاحتلال الاسرائيلي للقدس العربية قد حال ، لاسباب عملية ، دون وصول ملايين من العرب المسيحيين وما ينوف على ٧٠٠ مليون مسلم من العرب وغير العرب الى أماكنهم المقدسة في المدينة . وعلاوة على ذلك كله فان المسلمين والمسيحيين على السواء في المدينة المقدسة يشعرون بما هو أكثر من الحزن والمرارة ازاء حقيقة أن شؤونهم الدينية تعنى بها وزارة يسيطر عليها يهود شديد والتمسك باليهودية ، ألا وهي وزارة الشؤون الدينية . وقد رفضت السلطات الاسرائيلية المحتلة الاعتراف باللجنة الاسلامية التي ألفها المسلمون في المدينة لرعاية شؤونهم ومؤسساتهم الدينية - الاوقاف والمساجد والأضرحة وما الى ذلك - .

وثانيا ، ان الزعم بانتهاك قدسية مقبرة يهودية على جبل الزيتون هو ايضا موضوع ينبغي لاسرائيل ألا تطرحه نظرا لما تثيره بالضرورة الاشارة اليه من مقارنة تدعو الى الاستياء . فعمر هذه المقبرة اليهودية ، بادئ ذي بدء ، لا يزيد على ١٠٠ سنة وهي قطعة أرض مملوكة للأوقاف الاسلامية (المؤسسات الخيرية) ومؤجرة لتكون مقبرة يهودية لمدة ١٠٠ سنة وقد انتهى عقد ايجارها منذ بضع سنوات . كما أن الاضرار التي لحقت بهذه المقبرة حدثت عندما أقامت العصابات والقوات الاسرائيلية فيها متاريس لها لقصف المدينة القديمة بالقنابل في محاولة لاحتلالها في نهاية عام ١٩٤٧ وبداية عام ١٩٤٨ . وبمجرد ان أنشئت الادارة المدينة الاردنية في المدينة اضطلعت البلدية بمهمة صيانة هذه المقبرة وحمايتها وذلك بتعيين خبراء ومشرفين خاصين لها .

ولكن ماذا عسانا أن نجد على الجانب الآخر من السجل ؟ اننا سنجد ، دون مبالغة ، واحدا من أوسع برامج انتهاك القدسيات التي عرفها العالم واكثرها اثما . ان مقبرة مأمن الله الواقعة في الجزء الغربي من القدس والتي يبلغ عمرها ١٠٠٠ سنة على الاقل هي واحدة من المقابر الاسلامية قدسية . وهي ، مثلها مثل الكرمليين أو آرلنغتون أو دير وستمينستر ، تضم رفاة رجال عظماء بكافة المقاييس وفي جميع ميادين الانجازات - قديسين ومحاربين وقادة للناس وصانعين للتاريخ . ما هو مصير هذه المقبرة الآن ؟ انها الآن منتزة عام للناس وللحيوانات يطأون عليه بأقدامهم ، ويستطيع أى زائر للقدس أن يلمس ذلك بنفسه . وهناك أيضا في يافا ضريح لزعيم ديني كبير أقيم منذ عدة مئات من السنين : ويستطيع أى شخص اذا قدر له ان يزور يافا وأحس بالرغبة في أن يتناول مشروبا في المناطق المجاورة الخلابة أن يذهب الى هناك وأن يخطو بضع خطوات ليشهد بنفسه ما حل بهذا الضريح . وكذلك فان جامعي صفد وطبريا قد حولا الى صالتين لعرض الاعمال الفنية . وفي هذا الشأن يقول السيد ايفان م . ويسلون ، الذى نقلنا عنه من قبل ، في الصفحة ١٢٥ من كتابه " ، مفتاح السلم :

" بعد الحرب [حرب عام ١٩٦٧] اكتشفت السلطات المسيحية التي لم يكن باستطاعتها لسنوات عديدة أن تزور ممتلكات مسيحية معينة على جبل صهيون . . . لأنها كانت . . . مغلقة بواسطة السلطات العسكرية الاسرائيلية ، أن بعض هذه المؤسسات قد لحقت به اضرار شديدة . فقد نبشت مقابر البطاركة الأرمنيين الموجودة في فناء كنيسة سانت سافور الأرمنية وبعثرت العظام الموجودة فيها . كما أزيلت من الكنيسة أثناء الحرب أو بعدها مباشرة أرضية مشهورة من الفسيفساء وكانت الكنيسة ذاتها في حالة يرثى لها من التلف . وكذلك كانت عدة كنائس مسيحية في المنطقة المجاورة في حالة سيئة وكانت تغطيها حشائش كثيفة كما كانت قبورها مفتوحة . . . . . وهناك ، علاوة على ذلك ، ما يدفع الى الاعتقاد بأن هذا التخريب المتعمد . . . مستمر . وقد تبين في ربيع عام ١٩٦٨ ، بعد الحرب ، أن الصلبان المقامة على ٨٣ قبرا في المقبرة الكاثولوكية على جبل صهيون قد تحطمت كما استخدم في هذه المنطقة أيضا برج دير دورميشن لسنوات عديدة كموقع للمدافع الرشاشة الاسرائيلية " .

وقام الاسرائيليون أيضا بانتهاك قدسية مساجد وكنائس وأضرحة وأماكن مقدسة أخرى عديدة في جميع أنحاء فلسطين أو بتدميرها الى حد طمس معالمها . وترد في رسالة مؤرخة في ١٩ نيسان/ابريل ١٩٦٨ وموجهة من الممثل الدائم للأردن الى الامين العام [S/8552] أمثلة على انتهاك قدسية الممتلكات المسيحية في اسرائيل . وحتى المسجد الاقصى ، وهو ذو مكانة مقدسة لدى المسلمين كان هدفا لحريق متعمد ناجح جزئيا اقترفه شخص يفترض أنه مضطرب العقل . وليست البعثة الاردنية بحاجة الى أن تمضي الى أبعد من ذلك في هذا الميدان البشع بغية المحافظة على درجة ما من التوازن العاطفي .

- وهنا اذن يثور السؤال التالي : هل دمر الاردنيون عن عمد المعبدين اليهوديين الرئيسيين في المدينة القديمة ؟ ان الحقيقة هي أن القيادة اليهودية كانت قد قررت ، قبل انتهاء الانتداب البريطاني ببضعة شهور ، أن تزرع ما يقرب من ١٠٠٠ من قواتها يمثلون الهاجانا والأرغون وشتيرن في الحي اليهودي بالمدينة القديمة كنقطة انطلاق تستخدم من الداخل في نفس الوقت مع هجوم من الخارج لاحتلال المدينة القديمة عندما تحين اللحظة المناسبة .

هذا هو بالضبط ما حدث كما ذكرنا من قبل . فلقد كانت المعابد اليهودية التي تطل على كامل منطقة المدينة القديمة تستخدم كقواعد لقصف سائر المدينة القديمة بالقنابل بما في ذلك منطقة الحرم الشريف التي تضم المسجد الاقصى وقبة الصخرة التي تمثل البهاء الخالد . ومما لا يخفى على أحد ان قد وقعت أضرار بهذين المبنيين اللذين يبلغ عمر كل منهما ١٤٠٠ سنة نتيجة للقصف الاسرائيلي بمدافع الهاون وبالصواريخ ، وان هذه الاضرار قد اقتضت أعمال اصلاح واسعة النطاق بعد الهدنة .

وفي نفس الوقت وعندما بلغ الهجوم الثنائي المحور من الداخل ومن الخارج الابعاد المزعجة التي وصل اليها عشية ١٨ أيار/مايو ١٩٧٨ ، هبت للانقاذ في فجر ذلك اليوم كتيبة من القوات الاردنية قوامها ٦٠٠ فرد ونجحت ، بالتعاون مع المقاومة المحلية في القدس ، في التغلب على القوة الاسرائيلية بعد أكثف قتال شهدته الشوارع على امتداد الحرب . ونقل أفراد القوة اليهودية كأسرى حرب الى شرق الاردن حيث لقيوا أكرم معاملة وأطلق سراحهم بعد قليل تحت رعاية الصليب الاحمر .

ولم يكن من المتيسر ، مع مثل هذا النوع من القتال في الحوارى الضيقة بالمدينة القديمة ، من منزل الى منزل ومن باب الى باب ، تجنب ذلك النوع من الاضرار التي أصابت المعابد اليهودية اسوة بالكنائس والمساجد وأماكن الاقامة المدنية ، ناهيك عن الخسارة الفادحة في الأرواح بين الحرب واليهود على السواء وما يصحب مثل هذه المصادمات من فقدان للسواعد والسيقان وعاهات تؤدى الى العجز .

ولا تزال هذه الاحداث حية وقريبة في الذكريات الحية لهذا الجيل . وهي أحداث فرضتها رغبة اسرائيل المتسلطة والجامحة في أن تكون لها ملكية كاملة لا يشاركها فيها أحد على كامل مدينة القدس ، وهو ما فعلته في نهاية المطاف في عام ١٩٦٧ ، وان يكن هذا بكل تأكيد ليس بصفة دائمة .

وفي ضوء ما سبق فان الاردن لم ، بل ولن تقوم ، كمسألة مبدأ وعقيدة ، بالانتهاك المتعمد لقدسية المعابد اليهودية أو غيرها من الأماكن المقدسة على نحو ما تزعم السلطات الاسرائيلية . وينبغي للاسرائيليين أن يفهموا بعمق أكبر ما تعنيه اليهودية والمسيحية في أعمال أعماق العقيدة الاسلامية لكي يتبينوا على نحو تام ما ينطوى عليه هذا البيان من صدق أساسي .

وتمضي رسالة وزير الخارجية الاسرائيلي لتبلغ مجلس الأمن أن سلامة الأماكن المقدسة الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلي مكفولة الآن بحكم القانون . وتضيف انه لم يكن هناك مثل هذا القانون لحماية الاماكن المقدسة أثناء ما يصر على تسميته بالاحتلال الاردني .

ان من الصحيح تماما أن الحكومة الاردنية لم تسن قوانين لحماية الاماكن المقدسة ولكن المدهش هو ان السلطات الاسرائيلية لم تستطع ، رغم ما تتمتع به من معرفة ، أن تدرك حكمة واهمية عدم سن قوانين ومن ثم فانها تقدم دليلا آخر على عدم فهمها لما تمثله القدس لقطاعات كبيرة من البشر .

وليس بوسع الاردن أو أى دولة أو مجموعة من الدول ، بل ولا ينبغي لها ، أن تتجرأ على أن تنتحل لنفسها الحق في أن تضع في شكل كبسولة صغيرة تشريعات تغطي ٢٠٠٠ سنة من التاريخ المقدس وتقاليد وحقوق وسلطات قضائية وتفاصيل دقيقة تراكمت على مر العصور وليس من حق اى سلطة أو دولة أن تلغيها أو تعبث بها .

ولقد ساد القدس ، لأجيال لا حصر لها ، حالة دقيقة من المستحيل تقريبا محاكاتها ناهيك عن تحسينها أو اتاحة ما هو أفضل منها .

ولقد ادرك العثمانيون هذا تمام الادراك على الرغم من كافة اوجه القصور والضعف الأخرى التي كانوا يعانون منها . كما ان البريطانيين أيضا قد عالجوا هذه المشكلة بتواضع وفهم جديرين بالاشادة . وهكذا فعلت حكومة الاردن التي اقتصر دورها خلال السنوات التسع عشرة التي اضطلعت فيها بالمسؤولية على دور الوسيط وليس حتى دور المحكم على حين انه كان يطلب منها أحيانا على وجه التحديد القيام بالتحكيم .

ومن كان ، اذن ، يتولى ادارة الاماكن المقدسة . لقد كانت هذه الأماكن تخضع لولاية وادارة الهيئات الدينية في ضوء تلك المجموعة الكبيرة من القوانين المكتوبة وغير المكتوبة التي تعرف باسم الحالة الراهنة . ولم تكن هناك شكوى قط بشأن التطبيق الناجح لهذا النظام القديم قدم الدهر . ولقد كانت حجة كل من قداسة البابا بولس السادس وصاحب القداسة أثيناغوراس في عام ١٩٦٥ الى القدس والاماكن المقدسة الاخرى وما تفضلا بالاعراب عنه من عبارات الثناء في هذه المناسبة التاريخية دليلا حيا يتوج ما ذكرناه على التو .

(د) سلام عادل ودائم

ومن الواضح أن الجزء الختامي من رسالة وزير الخارجية الاسرائيلي هو أهم جزء فيها لأنه ينقل الى الامين العام الرفض المتعنت من جانب حكومته لقرار مجلس الامن ٢٩٨ (١٩٧١) المؤرخ في ٢٥ ايلول/سبتمبر ١٩٧١ ، وجميع القرارات الاخرى السابقة ذات الصلة بالموضوع .

ويعتبر هذا الرفض جد خطير بسبب الطريقة المتعجرفة التي أعلم بها مجلس الأمن ، بعبارات قلما تكون مستترة ، أن مصير القدس وسكانها ليس من شأن مجلس الأمن ، وأن لدى المجلس معلومات خاطئة عن حالة النعيم الابدى المفروض أنه قائم بالقدس لدرجة أن قرار مجلس الامن " قد صدم بعمق أهالي القدس " . ويبقى دون تفسير من هم أهالي القدس الذين يشير اليهم وزير الخارجية الاسرائيلي . أو ربما يلام المجلس لأنه ظن أن هناك مواطنين آخرين بالقدس من غير الاسرائيليين ، وهم سيعارضون بشكل راسخ أن يصبحوا غير ما هم بالذات .

ويعلن وزير خارجية اسرائيل أن التقسيم السابق للمدينة لم يجلب السلام للشرق الاوسط ، مع ما يتضمنه ذلك من معنى بأن ابتلاع الجزء الآخر من المدينة هو الدواء الاسرائيلي لاحلال السلام .

ولا تعتبر فلسفة السلام هذه ، عن طريق السيطرة الخالصة على الاطلاق بدعة من بدع وزير خارجية اسرائيل أو حكومته . فهذه احياء لفكرة سلام الرومان أو سلام البريطانيين ، وبشكل أشنع

"النظام الجديد" الذى سعت به ألمانيا النازية الى اخضاع شعوب أوروبا والعالم وتوجهها تحت سيطرة دولة أوتوقراطية أحادية العنصر .

ولحسن الحظ أن "النظام الجديد" انهار بسبب الارادة الخالدة للشعوب في مقاومة الاستعباد تحت أى ستار كان . وهكذا سيكون ، في آخر الأمر ، مصير محاولة اسرائيل فرض نظام عنصرى خالص وحيد العنصر . واذا قدر لأى عامل أن يبقي مصير الشرق الاوسط ، وربما خارجه ، في حالة غليان أبدى ، فانه هو ادعاءات اسرائيل المتعذر تفسيرها والمطالبة بسيطرة خالصة على القدس ، وهذا ، اذا تركنا جانبا الحشو والبلاغة ، هو رد اسرائيل على قرار مجلس الامن ٢٩٨ (١٩٧١) .

وفيما يتعلق بتأكيدات وزير الخارجية الاسرائيلي بأنه لم ولن يتم القيام بأى عمل من شانه انتهاك حقوق السكان ، فيكفي أن نبين هنا أنه من الممكن أن مالا يقل عن ثلثي ممتلكات سكان القدس - شرقها وغربها - تقع في الوقت الحاضر تحت يدى ما تسميه اسرائيل " بالقيّم على ممتلكات العدو " . ومن حيث الاهالي ، أى المولودين بالقدس وذريتهم ، والذين يحرمون في الوقت الحاضر من حقهم غير القابل للتصرف في العيش بمدينتهم الخاصة بهم ، فان النسبة المئوية لهؤلاء الاهالي مذهلة أيضا .

وفي الختام ، فان وزير الخارجية الاسرائيلي يتجاهل تماما الفقرة ٥ من قرار مجلس الأمن ٢٩٨ (١٩٧١) . وبنص كلمات الامين العام ، فان الرسالة "لم تتطرق الى مسألة رد حكومة اسرائيل على اقتراحي ايفاد بعثة الى القدس بغية تمكيني من الاضطلاع بمهمتي بمقتضى الفقرة ٥ من القرار ٢٩٨ (١٩٧١)" [S/10392 ، الفقرة ١٢] . وبدلا من ذلك رسم أيا ايبان صورة وردية للاحتلال والاغتصاب الاسرائيليين الخيّرين ، وهو ما سيجعل كل عاصمة عربية تشعر بالحسد وتتوق بشغف الى أن تصبح "محرّرة ومتمصّرة على النمط الاسرائيلي .

ومهما تحاول اسرائيل جاهدة تبرير ضمها بطريقة غير مشروعة لقطاع القدس المحتل والتابع للأردن ، فالتدابير والاجراءات التي اتخذتها لتغيير مركز وطابع المدينة تعد منافية للقانون الدولي المعاصر ، واتفاقية لاهاى لعام ١٩٠٧ ، واتفاقيتي جنيف لعام ١٩٤٩ ، والاعلان العالمي لحقوق الانسان ، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية . كما انها تعد دائما ابدا انتهاكا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة الذى يحظر بصريح العبارة اكتساب أراض بالفتح العسكرى . فتلك التدابير والاجراءات تتحدى بفظرسة قرارات الجمعية العامة ٢٢٥٣ (د إ ط - ٥) المؤرخ في ٤ تموز/يوليه ١٩٦٧ ، و ٢٢٥٤ (د إ ط - ٥) المؤرخ في ١٤ تموز/يوليه ١٩٦٧ وقرارات مجلس الأمن ٢٥٢ (١٩٦٨) و ٢٦٧ (١٩٦٩) و ٢٧١ (١٩٦٩) و ٢٩٨ (١٩٧١) . ولم يحدث قط في تاريخ هذه المنظمة أن تحدت دولة أخرى سلطة المنظمة وقوضت هيبتها بهذا القدر لزمن طويل كهذا مثلما فعلت اسرائيل . ونتيجة لذلك ، فان المسألة كما هي الآن هي بين هذا المجلس ، اعلى

جهاز تنفيذى في الامم المتحدة ، وبين اسرائيل . ولهذا اذا تركت اسرائيل دون كبح وهي تمضي في انتهاك وتحدى قرارات الامم المتحدة والقانون والعرف الدوليين ، عندئذ سيتقوض الأساس بالذات لهذا المجتمع الدولي ، ويتقوض معه كل الايمان والأمل في اقرار السلام والأمن في جميع أرجـــــاء كوكبنـــا .

وعليه ، يرجع الأمر لمجلس الأمن أن يتحمل مسؤولياته الرسمية بمقتضى ميثاق الامم المتحـدة من أجل ضمان عدم الاستهزاء بارادة المجلس ومن أجل ضمان حياة تسودها الحرية والسلام والكرامة والوئام لجميع البشـــر .

- - - - -